

الفصل الثالث

أحوال الجملة

من المسلّم به أنّ الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء وليس من الممكن النطق بأجزاء ، من أجل ذلك كان لا بدّ عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه ، ولا توجد أجزاء في الكلام أولى ببعضها في التقديم، فالألفاظ جميعها تشترك في درجة الاعتبار مع مراعاة ما تجب له الصدارة في الكلام كألفاظ الشرط والاستفهام.

فالكلام تركيب أو ما يسمى بالجملة ، وهي عبارة عن كلمات ذات معنى ، ولا تكون هذه الجملة تامة إلا إذا استوفت ركنين هما : المسند إليه، والمسند.

المبحث الأول

أحوال الجملة

التقديم والتأخير: باب تتباى فيه الأساليب وتظهر فيه المواهب والقدرات ، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه الوضع الذي يقتضيه المعنى.

وقد عُرّف بأنه ((مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق ، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ، ويتأخر ما الأصل في أن يتقدم لأغراض بلاغية)).

وقد اختلف العلماء في عدّ هذا الأسلوب من المجاز أم غير المجاز ، فالذين عدّوه من المجاز فكانت حجّتهم أنّ تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول به ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقّه يُعد مجازاً .

والرأي الآخر ما ذكره الزركشي في قوله : والصحيح أنّه ليس من المجاز ؛ لأنّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع.

الحالات التي يحقق التقديم فيها فائدة

1- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ.

مثاله قوله تعالى: ((وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ * إلى ربّها ناظرةٌ)) .(القيامة : 22-23)

هنا تقدّم الجار والمجرور لإفادة التخصيص ، أنّ وأنّ النظر لا يكون إلاّ الله ، مع جودة الصياغة وتناسق الفواصل.

2- ما يفيد زيادة في المعنى فحسب ، ومثاله قوله تعالى : ((بل الله فاعبُد وكن من الشاكرين)) .

هنا تقدّم المفعول به لفظ الجلالة لتخصيصه بالعبادة دون سواه ، ولو أُخّر لم يفد الكلام ذلك .

3- ما يفيد التقديم والتأخير فقط ، ولا ملاحظة في ذلك ، كقول الشاعر : وكانت يدي ملأى به ثمّ أصبحت بحمد الله وهي منه سليب .

تقدم الجار والمجرور ، فتقدير ذلك : ((ثم أصبحت منه سليب بحمد الله)) .

أنواع التقديم

أولاً: تقديم على نيّة التأخير ، هنا يبقى الحكم الاعرابي للمتقدم لا يتغير ، ومثاله : قرأ زيد الكتاب ، قرأ الكتاب زيد ، الكتاب قرأ زيد .

فهنا نلاحظ أنّ المفعول به (الكتاب) لم يتغير حكمه الاعرابي بالرغم من تقدمه وتأخره .

ثانياً : تقديم ليس على نيّة التأخير : نقل الشيء من حكم لحكم آخر ، أي: أنّ الحكم الاعرابي للمتقدم يتغير ، ومثاله : ضربت محمداً ، محمداً ضربته .

فهنا نلاحظ أنّ الحكم الاعرابي للمفعول ب (محمداً) قد تغير عند تقديمه ، فأصبح مبتدأ .

أركان الجملة

أولاً : المسند إليه ، وهو (المبتدأ ، والفاعل ، ونائب الفاعل ، واسم كان ، واسم إنّ) .

يتقدّم المسند إليه لأغراض بلاغية منها :

1- أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ، كتقديم الفاعل على المفعول به ، نحو قوله تعالى : ((

ألم تر كيف ضرب الله مثلاً...)) . (إبراهيم : 24)

والمبتدأ على الخبر ، نحو قوله تعالى : ((محمدٌ رسول الله)) . (الفتح : 29)

2- أن يتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه ، نحو قوله تعالى : ((إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)) . (الحجرات : 13)

3- أن يقصد تعجيل المسرّة إليه ، أو المساءة ، ومثال تعجيل المسرة قوله تعالى : ((نصر من الله وفتح قريب)) . (الصف : 13)

ومثال تعجيل المساءة قولنا : (المجرم في دارك) .

4- إيهام أنّ المسند إليه لا يزول عن خاطر ، ومثاله : (الله ربّي)

5- إيهام التلذذ بذكره ، ومثاله (ليلي وصلت) ، وقول الشاعر : بالله يا ضبيبات القاع قلن لنا ليلاي منكنّ أم ليلي من البشر؟

6- تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي ، ومثاله : (ما أنا قلت هذا) ، وقول المتنبي : وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا رمت في القلب نارا

7- تقوية الحكم وتقريره ، ومثاله قوله تعالى : ((والذين هم بربهم لا يشركون)) . (المؤمنون : 59)

ومما يفيد تقوية الحكم هو تقديم لفظي : مثل ، وغير ، يقول القزويني : ((استعمال (مثل) و (غير) هكذا مركز في الطباع ، وإذا تصفحت الكلام وجتهدا يقدمان أبداً على الفعل إذا نحي ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدما ، والسرّ في ذلك أنّ تقديمهما يفيد تقوية الحكم)) .

ومثاله قول الشاعر : مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه

وقول المتنبي : غيري بأكثر هذا الناس يندعج إن قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

8- إفادة العموم ، وتكون الإفادة بألفاظ العموم (كل ، جميع ، عامة ، كافة) .

ومثال ذلك قوله تعالى : ((كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة)) . (المدثر : 38) . وقوله تعالى : ((كلُّ نفسٍ ذائقة الموت)) . (العنكبوت : 57)

وقد تأتي أداة نفي بعد كلمة العموم ، كقولنا : (كلُّ إنسانٍ لم يقم) ، (كلُّ المتسابقين لم يأخذوا الجوائز) .

ثانياً : **المسند** ، وهو (**الخبر، الفعل ، المفعول به ، خبر كان ، خبر إن**)

ويُقدّم المسند لأغراض بلاغية منها :

1- **تخصيص المسند بالمسند إليه** ، ومثاله قوله تعالى : ((**ولله ملكُ السموات والأرض**)) . (آل عمران : 189) وقوله تعالى : ((**يُطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها يُنزفون**)) . (الصافات : 45-47) ، فالغول مقصور على عدم وجوده في خمر الجنة ، لكنه يوجد في خمر الدنيا التي تغتال العقول ، وتسبب ثقل الرأس ودورانه .

2- **التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت** ، ومثاله قوله تعالى : ((**ولكم في الأرض مُستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين**)) . (الأعراف : 24)

3- **التفاؤل بتقديم ما يسر** ، ومثاله قولنا : (**عليه من الرحمن ما يستحقه**) .

4- **التشويق إلى ذكر المسند إليه** ، ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم : ((**منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب مال**)) .

وقول محمد بن وهيب : **شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ** ثلاثة تُشرق الدنيا بهجتهما

ثالثاً: **متعلقات الفعل** ، وهي (**المفعول به ، والجار والمجرور ، والحال**)

ويكون تقديم متعلقات الفعل عليه ، أي: على الفعل لأغراض بلاغية منها :

1- **الاختصاص** ، ومثاله قوله تعالى : ((**إياك نعبدُ وإياك نستعين**)) . (الفاتحة : 5) ، وقوله : ((**إلى الله تُحشروا**)) . (آل عمران : 158)

2- **الاهتمام بالمتقدم** ، ومثاله قوله تعالى : ((**بل الله فاعبُدْ وكن من الشاكرين**)) . (الزمر : 66) ، وقوله : ((**أغيرَ الله أتخذُ ولياً**)) . (الأنعام : 14)

3- **التبرّك** ، ومثاله قولنا : (**قرآناً قرأتُ**)

4- **ضرورة الشعر** ، ومثاله قول أبي تمام : **سريع إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داع الندى بسريع**

5- **رعاية الفاصلة** ، ومثاله قوله تعالى : ((**فأمّا اليتيمُ فلا تقهرُ * وأمّا السائلُ فلا تنهر**)) . (الضحى : 9-10)

